هوامش

يمثل معرض «الشبح والروح» الذي يُغطي مسيرة كيلي فرصة لاكتشاف العوالم المعقدة والخيالية التي قدمها الفنان مايك كيلي خلال مسيرته المهنية، والتي يتردد صداها إلى اليوم، بعد أكثر من عقد من الزمان على رحيله

من أعمال المعرض (موقع الغاليري)

مايك كيلي

سيرة للوقاحة والملل والضوضاء

ريم ياسر

«الشبح والروح» عنوان المعرض الذي يستضيفه تيت غاليري لأعمال الفنان المفاهيمي الراحل مايك كيلي (1954 – 2012)، وهو فنان أميركي يمكن إدراج أعماله تحت مفهوم البوب آرت. كغيره من الفنانين المتأثرين بهذا الاتجاه، اعتمد كيلي في أعماله على العناصر البصرية المُتاحة من حوله، لتشكّل معاً ملامح الثقافة الشعبية في مجتمعه، فمثلت تجربته انعكاساً للثقافة الأميركية السائدة خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين. كان كيلي نموذجاً للأميركي الواقع تحت تأثير البروباغاندا والخرافة والخيال السينمائي، إذ بدا مهووساً بالأجسام الطائرة المجهولة، وموسيقى البوب، والأبطال الخارقين. في أحد نصوصه المصاحبة للعرض، يصف الفنان نفسه بأنه من جيل التلفزيون، وأن العالم بدا له في شبابه كواجهة تلفزيونية كبيرة وخيال ومجموعة من الأكاذيب.

يستمر المعرض حتى التاسع من مارس/ آذار المُقبل، وهو أكبر احتفاء خارج الولايات المتحدة الأميركية بأعمال هذا الفنان ذي السيرة الصاخبة التي انتهت بانتحاره. ما يلفت الانتباه في تجربة كيلي، ليس أنها تؤطر ملامح الثقافة الأميركية السائدة في أواخر القرن العشرين، بل لكونها تقدم لنا انعكاساً صارخاً لهذه الثقافة في تناقضاتها وعنصريتها وعنفها. سعى كيلي خلال مسيرته للبحث عن الصور النمطية التي تُشكل العقلية الأميركية، فأنشأ من دون أن يدري مزيجاً مُربكاً ومعقداً من المحتوى البصري. يرى بعضهم أن أعمال كيلي نجحت في تجسيد صورة الولايات المتحدة في أذهان الناس كخليط مُلتبس ومخيف تشكله فسيفساء من جنون العظمة والخيال والعنف والجمال والجنس والخرافة. المعرض مُستلهم من نص كتبه كيلي قبل رحيله مباشرةً، ليكون مصاحباً لعمل ينوي إنجازه عن المعاني المجازية للأشباح والأرواح في المخيلة الإنسانية. يتضمن المعرض أحد أهم أعمال كيلي وأكثرها صخباً، وهو العمل الذي قدمه في نهاية السبعينيات من القرن الماضي تحت عنوان «الروح الشريرة» (The Poltergeist). عمل مكون من سبع مجموعات من الصور الفوتوغرافية. تُظهر هذه الصور كيلي بينما تسيل من أنفه مادة أثيرية غامضة ووجهه مُغطى برسومات ملونة ومخيفة تشبه الأقنعة التي يرتديها المراهقون في عيد الهالوين. يتضمن المعرض أيضاً أعمالاً من التركيبات المبكرة لكيلي، مثل مشروعيه «جزيرة القرود» و«نصف رجل» اللذين قدمهما في ثمانينيات القرن الماضي. اعتمد الفنان في هذين المشروعين على الحِرَف اليدوية، إذ كان على قناعة بأن تشجيع الحرف اليدوية يمثل مقاومة ضد هيمنة الرسم والنحت الحديثين. بناءً على قناعته تلك، أنشأ الفنان عشرات المنحوتات باستخدام أغراض مألوفة، مثل الألعاب المحشوة المصنوعة يدوياً والمفارش المطرزة. وسعياً لالتقاط مشاعر الغرابة في الحياة اليومية، وظف كيلي الدُمى المستعملة البالية في ترتيبات مُخيفة، مقوضاً الانطباع السائد عن ألعاب الأطفال البريئة، ومستحضراً أفكاراً حول هياكل السلطة الأسرية، إضافة إلى الشعور الكامن بالشر. يمثل المعرض الذي يُغطي مسيرة كيلي فرصة لاكتشاف العوالم المعقدة والخيالية التي قدمها هذا الفنان خلال مسيرته المهنية، والتي يتردد صداها إلى اليوم، بعد أكثر من عقد من الزمان على رحيله. كان كيلي مثل مراهق يلهو بالأشياء من حوله، يرسم صليباً معقوفاً على جبهة السيناتور العنصري المتعصب جيسي هيلمز، ويبني أشكالاً غرائبية مستوحاة من سلاسل القصص المصورة. في أعماله تطالعنا العديد من الصور والتجهيزات الصادمة: دُمى قديمة تخرج أحشاؤها، وأخرى حيكت أجزاؤها باستخفاف، وأبطال خارقون ومدن زجاجية، وتركيبات ملونة وكتابات ذات إيحاءات جنسية على صور الرؤساء الأميركيين. يضم المعرض تجهيزات مطلية باللون الأبيض في داخلها كائنات خرافية حبيسة داخل صناديق من الزجاج، يصفها النص المُصاحب بأنه عرض عن البساطة الأميركية المعقمة. نرى كذلك أكواماً من الدمى القديمة والمتسخة التي جمعها كيلي من أسواق الخردة كأنهم كائنات فضائية بائسة ضلت طريقها فعلقت في هذا العالم. في النص المصاحب لأحد هذه الأعمال، يقول كيلي: «هذه الدمى كانت لها حيوات أخرى ذات يوم ، شاطرت أطفال لعبهم، واستسلمت للترميم وخياطة أجزائها، وانتزعت أعينها الزجاجية حتى دُمّرت تماماً».

في هذه الأعمال، يرسم كيلي سيرة صادمة للوقاحة والصلف والملل والضوضاء. حتى نكاته المكبوتة في حجرة الدرس أخرجها كيلي هنا إلى العلن، وأصبحت مؤطرة داخل تجهيزات أو صور فوتوغرافية. يتضمن المعرض نماذج من الأعمال التي تعكس هوس كيلي بمدينة كاندور عاصمة كوكب كريبتون موطن سوبرمان، الذي يجسده الفنان في تجهيزاته الزجاجية أو داخل كبسولات بلون الضباب.

باختصار

كان كيلي مثل مراهق يلهو بالأشياء من حوله، يرسم صليباً معقوفاً على جبهة السيناتور العنصري المتعصب جيسي هيلمز

■■■

نرى أكواماً من الدمى القديمة والمتسخة التي جمعها كيلي من أسواق الخردة كأنهم كائنات فضائية بائسة ضلت طريقها فعلقت في هذا العالم

■■■

يتضمن المعرض نماذج من الأعمال التي تعكس هوس كيلي بمدينة كاندور عاصمة كوكب كريبتون موطن سوبرمان

وأخيراً

أسطورة يحيى السنوار

محمود الرحبي

حين يُسجَّى الميّت يتشابه مع بقية الأموات في مختلف الربوع والأزمنة، فالأموات يتشابهون حين تُغادر الأرواح الأجساد. الروح إذاً هي ما كان يميّز كلّ كائن من غيره. في رحيل يحيى السنوار حلّقت روحٌ أسطوريةٌ كانت تميّزه، بدايةً من نظراته وحديثه، وليس انتهاء بمشيته الواثقة وصوته الثابت. وحين النظر إلى ماضيه البعيد نجده شخصيةً عرفت كيف تصنع أسطورتها، بتعدّد الإمكانات والاهتمامات والاستفادة بأقصى ما يمكن من مختلف الظروف، وتكييف أقلّ الإمكانات. ترك أيضاً كتاباً سطَّر فيه حياته وآماله. تعلّم كذلك لغة عدوّه حتى يفهمه. هناك أيضاً الذكاء الذي يميّز الأساطير. ذلك كلّه مجتمعاً استطاع أن يصنع به ذلك التحوّل الرهيب، حين خطّط لـ«طوفان الأقصى»، الذي جعل المحتلّ يخرُج عن طوره ويخسر جميع أوراقه الأخلاقية إلى الأبد، أمام العالم والضمير الحيّ، حين أوغل الجيش الإسرائيلي في قتل الأبرياء الغفَّل، ولم يسلم من بطشه حتّى الخدَّج الذين بلا ثقل، ولا الأجنَّة في بطون أمّهاتهم، الذين بلا عمر، والرضَّع والأطفال الذين بلا ذنب، فضلاً عن مئات النساء والمسنّين. لقد قلب السنوار المعادلةَ التي ما فتئت إسرائيل تحاول ترويجها للعالم بأنّها بلد مظلوم وسط حشد من العرب المتوحّشين، لتصير هي الشعب المتوحّش الذي حلّ في أرضٍ ليست له وتحت حماية أكثر دول العالم قوّةً (أميركا وجزء من أوروبا) ودعمها، ولم يغادر الدنيا قبل أن يفنّد ويفضح كذب الإعلام الإسرائيلي الذي صوَّره مختبئاً ومحتمياً بالأسرى والمدنيين، لنكتشف أنّنا أمام محارب عنيد حتّى الرمق الأخير. كان يحيى السنوار يستثمر كلَّ متاحٍ للدفاع عن الأرض، وبذلك صنع مدرسةً خاصّةً في النضال ضدّ المحتلّ. هذه المدرسة المتفرّدة لا بدّ أنّها ستلد طلبةً ومناضلين في طريق التحرير، ملخَّص هذه المدرسة أنّه لا بدّ من الاستفادة من كلّ مُتاح. وما استفادة حركة المقاومة الفلسطينية المحاصرة من مخلّفات عدوهم إلا دليل على استقائهم من هذه المدرسة السنوارية. أسطورة السنوار أيضاً تفوق أساطير النضال عبر التاريخ، مثل غيفارا وهوشي منه وأحمد بن بلا، وهم أكثر الرموز التي تُستحضَر في سياق التمثّل بقصص النضال والتحرّر، ولكنّ الفرق أنّهم كانوا مدعومين من المعسكر الاشتراكي (حتّى بن بلا بالرجوع إلى مذكّراته وعلاقته الخاصّة بغيفارا)، بينما السنوار والمقاومون يعيشون في حصار مُطبِق إلى جانب الإنكار الرسمي العربي لهم، باستثناء الشعور الشعبي العربي الذي لا يملك من حيلة غير الدعاء ومقاطعة السلع الداعمة للكيان الإسرائيلي. قدّم السنوار أيضاً صورةً ناصعةً، حتّى في عملية إطلاق سراح المدنيين. وكان ضمن الذين أطلق سراحهم كلبة تحملها فتاة. لقيت تلك الكلبة معاملةً نفسيةً وغذائيةً من المقاومين الفلسطينيين، في الوقت الذي كانت مستشفيات غزّة تُرمَى بأعتى أنواع القنابل والقاذفات. لا أشكّ أنّ السنوار اختار أيضاً لحظةَ استشهاده في الشهر نفسه الذي نفّذ فيه ملحمة «طوفان الأقصى». أراد لروحه أن تحلّق في وسط المعركة في الأرض وفي مواجهةٍ مباشرةٍ مع عدوّه القوي بأسلحته وتقنياته. كان في الحقيقة أعزل قياساً إلى العتاد الكبير للمحتلّ، فلم يكن بحوزته سوى رشّاشٍ وفي جيبه قنابلُ يدويةٌ، شيء لا يُقارَن في لحظة الهجوم بالترسانة التي يواجهها. أراد إذاً أن تخرج روحه في هذه الهيئة من البطولة التي سيحترمها حتّى أعداؤه رغماً عنهم، وقد كانوا يروّجون اختباءه وابتعاده وهروبه من المواجهة. كسر السنوار هذه التوقّعات، فلم يكن حذراً إلّا بالقدر الطبيعي الذي يتحلّى به المقاتل، ولم يكن مختبئاً وسط الأسرى أو الأهالي كما روَّج الإعلام الإسرائيلي. شئنا أم أبينا، الوحيدون الذين يقفون ضدّ الهمجية والطغيان والعنف المدعوم من أميركا هم أفراد المقاومة المسلّحة، لأنّ الخصم لا يعترف بالآخر إنساناً، وهو مدجَّج بأعتى أنواع الأسلحة والتكنولوجيا الدقيقة التي يمكنها أن ترصد حتّى النملة في مكمنها، فهو لا يعترف بحقوق الآخر، ولا حتّى بوجوده، وكأنّما يعتبره زائداً عن الحاجة، ومن المشروع قتله، أو هو في حكم الميّت مسبقاً، وإذا كان حيّاً فهو مشروع للاستغلال، كما تفعل أميركا والغرب مع الدول الأفريقية والعربية.

> استثمر يحيى السنوار كلَّ متاحٍ للدفاع عن الأرض، وصنع مدرسةً خاصّةً في النضال ضدّ المحتلّ

برحيل السنوار انطفأت شمعةُ حياةِ رجلٍ عاش وسط التحدّيات أسيراً، ثمّ قائداً، ثمّ أسطورةَ نضالٍ أزلية.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**